

في نور محمد فاطمة الزهراء

إلى دعوة إبراهيم، يوم رفع وإسماعيل القواعد من البيت، ومنذ مئات السنين، ثم دعا ربّه: (رَبِّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ) [196]. إلى «بشرى» عيسى بن مريم، إذ قال لقومه: (إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَةِ وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ) [197]. أَوَ لَمْ يَفْصَحْ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ لِلنَّاسِ عَنْ كُنْهٍ بَعْدَ بَعَثْتَهُ بَسْنِينَ، فَقَالَ: «أَنَا دَعْوَةُ أَبِي إِبْرَاهِيمَ، وَبَشْرَى أَخِي عَيْسَى» [198]؟ بلى، قد أَفْصَحَ وَأَبَانَ. وَهِيَ آمَنَةُ أُمُّهُ - عِنْدَمَا حَمَلَتْ بِهِ - تَرَى رُؤْيَا، لَهَا نَفْسٌ مَعْنَى مَا رَأَى جَدُّهُ الشَّيْخُ الْوَقُورُ، هَاتِفٌ مَبَارَكٌ يَنْفُثُ فِي رَوْعِهَا، وَهِيَ وَسْنَانَةٌ [199]، حَقِيقَةُ الْجَنِينِ، يَزْفُ إِلَيْهَا النَّبِيُّ الْعَظِيمُ: «إِنَّكَ حَمَلْتَ بِسَيِّدِ الْأَنَامِ» [200]. وَنَكَسَتْ رُؤُوسَهَا الْأَصْنَامُ. * * * فَأَيُّ سَعَادَةٍ تِلْكَ الَّتِي مَلَأَتْ قَلْبَ السَّيِّدَةِ الْفَضْلَى، وَإِنَّهَا لِأَكْبَرَ مِنْ أَنْ تَتَّسَعَ لَهَا رَحَابُ الْأَكْوَانِ؟ أَيْ بَشَرٍ غَمَرَهَا، إِذْ عَلِمَتْ أَنَّهَا الْمُخْتَارَةُ مِنْ لَدُنِ اللَّهِ لِتَكُونَ الْوَعَاءُ الطَّهْوَرُ لِلْمُخْتَارِ؟ أَيْ فَرَحَةٌ كَانَتْ تَحْلُقُ بِهَا، بِجَنَاحِي الشُّوقِ وَالْأَمَلِ، فِي سَمَاءِ الْمُسْتَقْبَلِ، وَهِيَ تَعْدُّ - بِالْثَوَانِي وَاللَّحْظَاتِ - الْأَيَّامَ الْبَاقِيَةَ لِيَجِيءَ ذَلِكَ الْمَحْمُودُ مِنَ الْأَرْضِ وَالسَّمَاءَاتِ؟